المنار ١٣١٥

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

[illegible]

قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صُوًى و « منارا » كمنار الطريق

(مصر ربيع الآخر سنة ١٣٢٥ — آخر الثلاثاء ١١ يونيه (حزيران) سنة ١٩٠٧)

باب تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من الدروس التي كان يلقيها في الأزهر الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده)

(٥٢ : ٤٥) فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى
الله ؟ قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون (٥٣:٤٦)
ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين (٥٤:٤٧)
ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين (٥٥:٤٨) إذ قال الله يا عيسى
إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ، وجاعل الذين
اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، ثم إلي مرجعكم فأحكم
بينكم فيما كنتم فيه تختلفون (٥٦:٤٩) فأما الذين كفروا فأعذبهم
عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين (٥٧:٥٠) وأما
الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين ●
(٥٨ : ٥١) ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ●

قال الأستاذ الإمام انتقل من البشارة بعيسى الى ذكر خبره مع قومه وطوى ما بينهما من خبر ولادته ونشأته وبعثته مؤيدا بتلك الآيات وهذا من إيجاز القرآن الذي انفرد به فقد انطوى تحت قوله ﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر ﴾ جميع مادلت عليه البشارة وعلم انه ولد وبعث ودعا وأيد دعوته كما سبقت البشارة فأحس وشعر من قومه وهم بنو اسرائيل الكفر والعناد والمقاومة والقصد بالايذاء. وفي هذا من العبرة والتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ما فيه وان أكبر ما فيه الاعلام بأن الآيات الكونية وان كثرت وعظمت ليست ملزمة بالايمان ولا مفضية اليه حتما وانما يكون الايمان باستعداد المدعو اليه وحسن بيان الداعي ولذلك كان من أمر عيسى عليه السلام انه لما أحس من قومه الكفر ﴿ قال من أنصاري الى الله ﴾ أي توجه الى البحث عن أهل الاستعداد الذين ينصرونه في دعوته تاركين لاجلها كل ما يشغل عنها منقطعين عما كانوا فيه متحيزين ومنضوين الى الله متصرفين الى تأييد رسوله ونصره على معاديه والكافرين بما جاء به ﴿ قال الحواريون نحن أنصار الله ﴾ [illegible] للانسلاخ والانفصال من التقاليد السابقة والأخذ بالتعليم الجديد وبذل منتهى الاستطاعة في تأييده فان نصر الله لا يكون الا بذلك

والحواريون أنصار المسيح والنصر لا يستلزم القتال فالعمل بالدين والدعوة اليه نصر له. قال الأستاذ الامام ولا نتكلم في عددهم لأن القرآن لم يبينه. أقول وأصل لفظ الحواري مأخوذ من الحُوّارى وهو لباب الدقيق وخالصه ولانهم من خيار القوم وصفوتهم أو من الحور وهو البياض وفي حديث الصحيحين «لكل نبي حواري وحواري الزبير» ومن هنا قيل خاص بأنصار الانبياء ﴿ آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ﴾ مخلصون له منقادون لأمره. وفي هذا دليل على ان الاسلام دين الله على لسان كل نبي وان اختلفوا في بعض صوره وأشكاله وأحكامه وأعماله

ومن مباحث اللفظ في الآية أن «أحس» يستعمل في ادراك الحسي والمعنوي في حقيقة الاساس: أحسست منه مكرا وأحسست منه بمكر وما أحسسنا منه خبرا وهل تحس من فلان بخير. والمكر من الامور المعنوية وان كان يستنبط من

الأعمال الحسية ويستدل عليه بها . وقال البيضاوي في الآية « تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس » وهو مبني على أن معنى أحس الشيء أدركه بإحدى حواسه وأن إطلاقه على إدراك الأمور المعنوية تجوز شبه فيه المعقول بالمحسوس في الجلاء والوصول إلى درجة اليقين . على أن الكفر يعرف بالأقوال والأعمال المحسوسة . وقال الأستاذ الإمام إن الجار في « إلى الله » متعلق بلفظ « أنصاري » وإن لم يعرف أن مادة نصر تعدى بإلى ذلك بأن مجموع الكلام هنا قد أشرب الكلمة معنى الالتجاء والانتهاء لأن النصر يحصل بذلك . ويصح أن يتعلق بوصف قيد هذا المعنى الذي يدل عليه الأسلوب كما قدرنا في بيان العبارة وهو الذي جرى عليه المفسرون محافظة على القواعد الموضوعة

﴿ ربنا آمنا بما أنزلت ﴾ معطوف على قولهم نحن أنصار الله الخ أي صدقنا بما أنزلت من الإنجيل ﴿ واتبعنا الرسول ﴾ عيسى بن مريم قال الأستاذ الإمام ذكر الاتباع بعد الإيمان لأن العلم الصحيح يستلزم العمل والعلم الذي لا أثر له في العمل يشبه أن يكون علما تصوريا لا يقينيا ولكن يظن الإنسان أنه عالم بشيء حتى إذا حاول العمل به لم يجده فيرى أنه كان غلطا في دعوى العلم . ثم قال إن العلم الذي تقل علاماتها في النفس حتى يعمل بصاحبه فيكون العمل تفصيليا فذكر الحواريين الاتباع بعد الإيمان يفيد أن إيمانهم كان في مرتبة اليقين التفصيلي الحاكم على النفس المصرف لها في العمل ﴿ فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ للرسول بتبليغ الدعوة وعلى قومه بما كان منهم من الكفر والجحود ، فحذف معمول الشاهدين ليعم المشهود له والمشهود عليهم . أو بحال الشاهدين على هذه الحالة أي حالة الرسل مع قومه وهو الذي اختاره الأستاذ الإمام قال ومن المعروف في الفقه أن الشاهدين بمنزلة ما كلا أن الفصل بين الخصمين يكون بشهادتهما ولا تصح الشهادة إلا من العارف بالمشهود به معرفة صحيحة وقد كان الحواريون كذلك كما يؤخذ من إقرارهم بالإيمان والاتباع

﴿ ومكروا ومكر الله ﴾ أي ومكر أولئك الذين أحس عيسى منهم الكفر به فأرادوا قتله وأبطل الله مكرهم فلم ينجحوا به ، وعبر عن ذلك بالمكر على طريق المشاكلة كذا قال الجمهور وأقره الأستاذ الإمام ولكن ورد في سورة الأعراف إضافة المكر

الى الله تعالى من غير مقابلة بمكر الناس قال (٧: ٩٩ أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر
الله الا القوم الخاسرون) والمكر في الاصل التدبير الخفي المفضي بالممكور به الى
ما لا يحتسب ولما كان الغالب ان يكون ذلك في السوء لان من يدبر للانسان ما يسره
وينفعه يكاد لا يحتاج الى اخفاء تدبيره غلب استعمال المكر في التدبير السيء وان كان
في المكر الحسن والسيء جميعاً قال تعالى (٣٥: ٤٣ استكباراً في الارض ومكر السيء
ولا يحيق المكر السيء الا بأهله) ووجه الحاجة الى المكر الحسن ان من الناس من
اذا علم بما يدبر له من الخير أفسد على الفاعل تدبيره لجهله فيحتاج مربيه أو متولي
شؤونه الى أن يحتال عليه ويمكر به ليوصله الى ما لا يصح ان يعرفه قبل الوصول
اذ يوجد في الماكرين الاشرار والاخيار (والله خير الماكرين) فان تدبيره
الذي يخفى على عباده انما يكون لاقامة سننه وإتمام حكمه وكلها خير في نفسها وان
قصر كثير من الناس في الاستفادة منها بجهلهم وسوء اختيارهم . وقال الاستاذ
في تفسير «خير الماكرين» [illegible] المكر [illegible] شر أي ان كان في الخير
مكر فمكره سبحانه [illegible] الخير ومكر [illegible] الى الشر

(اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا)

أي مكر الله بهم اذ قال لنبيه اني متوفيك الخ فان هذه بشارة بانجائه من مكرهم
وجعل كيدهم في نحرهم قد تحققت ولم ينالوا منه ما كانوا يريدون بالمكر والخبث .
والتوفي في اللغة أخذ الشيء وافياً تاماً ومن ثم استعمل بمعنى الاماتة قال تعالى
(٣٩: ٤٢ الله يتوفى الانفس حين موتها) وقال (٣٢: ١١ قل يتوفاكم ملك
الموت الذي وكل بكم) فالمتبادر في الآية إني مميتك وجاعلك بعد الموت في
مكان رفيع عندي كما قال في ادريس عليه السلام (١٩: ٥٧ ورفعناه مكاناً
علياً) والله تعالى يضيف اليه ما يكون فيه الابرار من عالم الغيب قبل البعث
وبعده كما قال في الشهداء (٣: ١٦٩ أحياء عند ربهم) وقال (٥٤: ٥٤ ان
المتقين في جنات ونهر ٥٥ في مقعد صدق عند مليك مقتدر) وأما تطهيره من
الذين كفروا فهو إنجاؤه مما كانوا يرمونه به أو يرومونه منه ويريدونه به من
الشر . هذا ما يفهمه القارئ الخالي الذهن من الروايات والاقوال لانه هو

المتبادر من العبارة وقد أيدناه بالشواهد من الآيات ولكن المفسرين قد حولوا الكلام عن ظاهره لينطبق على ما أعطاهم الروايات من كون عيسى رفع إلى السماء بجسده وهاك ما قاله الاستاذ الامام في ذلك

يقول بعض المفسرين « إني متوفيك » أي متوفيك و بعضهم إني قابضك من الارض بروحك وجسدك « ورافعك إلي » بيان لهذا التوفي ، و بعضهم إني أنجيك من هؤلاء المعتدين فلا يتمكنون من قتلك وأميتك حتف أنفك ثم أرفعك إليّ ونسب هذا القول إلى الجمهور وقال للعلماء ههنا طريقتان احداهما وهي المشهورة انه رفع حيا بجسمه وروحه وانه سينزل في آخر الزمان فيحكم بين الناس بشريعتنا ثم يتوفاه الله تعالى ولهم في حياته الثانية على الارض كلام طويل معروف وأجاب هؤلاء عما يرد عليهم من مخالفة القرآن في تقديم الرفع على التوفي بأن الواو لا تفيد ترتيبا — أقول وفاتهم ان مخالفة الترتيب في الذكر للترتيب في الوجود لا يأتي في الكلام البليغ الا لنكتة ولا نكتة هنا لتقديم التوفي على الرفع اذ الرفع هو الأهم لما فيه من البشارة بالنجاة ورفعة المكانة —

ARCHIVE

(قال) والطريقة الثانية أن الآية على ظاهرها وأن التوفي على معناه الظاهر المتبادر وهو الإماتة العادية وان الرفع يكون بعده وهو رفع الروح ولا بدع في إطلاق الخطاب على شخص وارادة روحه فان الروح هي حقيقة الانسان والجسد كالثوب المستعار فانه يزيد وينقص ويتغير والانسان إنسان لان روحه هي هي (قال) ولصاحب هذه الطريقة في حديث الرفع والنزول في آخر الزمان تخريجان أحدهما أنه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادي لأنه من أمور الغيب والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها الا بالقطعي لان المطلوب فيها هو اليقين وليس في الباب حديث متواتر . وثانيهما تأويل نزوله وحكمه في الارض بغلبة روحه وسر رسالته على الناس وهو ما غلب في تعليمه من الأمر بالرحمة والمحبة والسلم والأخذ بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها والتمسك بقشورها دون لبابها وهو حكمتها وما شرعت لأجله فالمسيح عليه السلام لم يأت اليهود بشريعة جديدة ولكنه جاءهم بما يزحزحهم عن الجمود على ظواهر ألفاظ شريعة موسى عليه السلام ويوقفهم على فقهها والمراد منها

ويأمرهم بمراعاته وعما يجذبهم الى عالم الارواح بتحري كمال الآداب أي ولما كان أصحاب الشريعة الأخيرة قد جمدوا على ظواهر ألفاظها بل وألفاظ من كتب فيها معبرا عن رأيه وفهمه وكان ذلك مزهقا لروحها ذاهبا بحكمتها كان لا بد لهم من اصلاح عيسوي يبين لهم أسرار الشريعة وروح الدين وأدبه الحقيقي وكل ذلك مطوي في القرآن الذي حجبوا عنه بالتقليد الذي هو آفة الحق وعدو الدين في كل زمان . فزمان عيسى على هذا التأويل هو الزمان الذي يأخذ الناس فيه بروح الدين والشريعة الاسلامية لاصلاح السرائر من غير تقيد بالرسوم والظواهر

هذا ما قاله الاستاذ الامام في الدرس مع بسط وايضاح ولكن ظواهر الاحاديث الواردة في ذلك تأباه ولأهل هذا التأويل ان يقول ان هذه الاحاديث قد نقلت بالمعنى كأكثر الاحاديث والناقل للمعنى ينقل ما فهمه . وسئل عن المسيح الدجال وقتل عيسى له فقال ان الدجال رمز للخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها والأخذ بأسرارها وحكمها وان القرآن أعظم هاد الى هذه الحكم والاسرار [illegible] فلا حاجة للبشر الى اصلاح وراء الرجوع الى ذلك وسنعود الى مبحث ما جرى للمسيح عليه السلام مع الماكرين الذين أرادوا قتله وصلبه في تفسير سورة النساء ان شاء الله تعالى

{ وجاعل الذين اتبعوك } بالأخذ بما جئت به من الهدى { فوق الذين كفروا } بك ولم يهتدوا بهديك فوقية روحانية دينية وهي كونهم أحسن أخلاقا وأكمل آدابا وأقرب الى الحق والفضل وأبعد عن الباطل والاعتداء أو فوقية دنيوية وهو كونهم يكونون أصحاب السيادة عليهم . ولكن هذا الوجه لم يتحقق في زمن المسيح لأشد الناس اتباعا له بل كانوا مضطهدين من اليهود فتعين ان يكون الوجه الأول هو المراد ووجهه ظاهر فان اتباع المسيح هو عين الأخذ بتلك الفضائل والروابط التي جاء بها وليس عندنا شيء عن الاستاذ الامام في هذا . ولا يشكل عليه قوله { الى يوم القيامة } فان فوقية الفضائل والآداب هي التي كانت – وستبقى كذلك مادامت السموات والأرض { ثم الي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون } أقول فيه التفات من الغيبة الى الخطاب وبذلك يشمل المسيح والمختلفين معه

ويشمل الاختلاف بين اتباعه والكافرين به والله هو الذي يبين لهم جميعا يوم الحساب الحق في كل ما اختلفوا فيه بما يزيل شبه المشتبهين ورياء الجاحدين

﴿ فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ﴾ وكذلك عذب الله اليهود الذين كفروا به بتسليط الأمم عليهم وتحكمها فيهم ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون هنالك كما أنهم لم ينصروا هنا ﴿ وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ﴾ إما في الدارين وهو الغالب في الأمم وإما في الآخرة فقط ﴿ والله لا يحب الظالمين ﴾ لأنفسهم بالخروج عن سنن الفطرة والكفر بالأنبياء الذين يطالبون النفوس بتقويمها

﴿ ذلك ﴾ الذي تقدم من خبر عيسى ﴿ نتلوه عليك من الآيات ﴾ الدالة على نبوتك ﴿ والذكر الحكيم ﴾ الذي بين وجوه العبر في الأخبار والحكم في الأحكام فيهدي المؤمنين إلى لباب الدين وفقه الشريعة وأسرار الاجتماع البشري ليصل المتعلم ويصل إلى مقام الحكمة المطلوبة . وليس لدينا عن الاستاذ الامام شيء في هذه الآيات

(٥٩ : ٥٢) إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (٦٠ : ٥٣) الحق من ربك فلا تكن من الممترين (٦١ : ٥٤) فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين (٦٢ : ٥٥) إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم (٦٣ : ٥٦) فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين *

أقول بعد أن بين سبحانه خلق عيسى ومجيئه بالآيات وما كان من أمر قومه في الإيمان والكفر به كشف شبهة المغترين بخلقه على غير السنة المعتادة والمماحين فيه بغير علم ورد على المنكرين لذلك فقال ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ﴾ أي ان شأنه

عيسى وصفته في خلق الله اياه على غير مثال سبق كشأن آدم في ذلك ثم فسر هذا المثل بقوله ﴿ خلقه من تراب ﴾ أي قدر أوضاعه وكون جسمه من تراب ميت أصابه الماء فكان طينا لازبا ذا لزوجة ﴿ ثم قال له كن فيكون ﴾ أي ثم كونه تكوينا آخر بنفخ الروح فيه وقد تقدم تفسير العبارة الا انه كان الظاهر ان يقول هنا «ثم قال له كن فكان» ولكنه قال «فيكون» لتصوير الحال الماضية كما يقول أهل المعاني في وضع المضارع موضع الماضي أحيانا . وخطر لي الآن انه يجوز ان تكون كلمة التكوين مجموع « كن فيكون » والمعنى ثم قال له كلمة التكوين التي هي عبارة عن توجيه الارادة الى الشيء ووجوده بها حالا . ويظهر هذا في مثل قوله تعالى (٦ : ٧٣ وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق) فلو كان القول للتكليف لم يظهر هذا لان قول التكليف من صفة الكلام وقول التكوين من صفة المشيئة . ولعل من تأمله حق التأمل لا يجد عنه منصرفا . والعطف بثم لبيان التكوين الآخر بعد تراخيه وتأخره عن الخلق الأول . ويجوز ان يكون بعد خلقه من الطين وتكوينه لم تقلب في أطوار مختلفة كما تقلب ذريته المشار اليها بقوله تعالى (٧١ : ١٤ وقد خلقكم أطوارا) وقوله عز وجل (٢٣ : ١٢ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ١٣ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ١٤ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ١٥ ثم انكم بعد ذلك لميتون ١٦ ثم انكم يوم القيامة تبعثون) فالسلالة المستخرجة من الطين هي المكون الأول الذي يعبرون عنه بلسان العلم الآن بالبروتوبلاسما ومنها تكون أصلنا في ذلك الطور لانه تعالى يقول انه خلقه من تلك السلالة ، ثم انتقل الى طور الثانية بواسطة النطفة في القرار المكين وهو الرحم ثم انتقل الى طور تحول النطفة الى علقة والعلقة الى مضغة والمضغة الى هيكل من العظام يكسى لحما وقد عد هذا طورا واحدا ، ثم أنشأه خلقا آخر وهو الطور الاخير . ثم ذكر ان له طورا آخر في الموت وطورا أخر في البعث وهو آخر أطواره ، فكل طور من الاطوار التي قبل الموت حادث وحدوثه لأول مرة لم يكن مسبوقا بمثله ولم يكن معتادا واقعا

ARCHIVE

وجد بمشيئة الله وتكوينه المعبر عنه بقوله « كن فيكون » فهل يعز على صاحب هذه المشيئة أن يخلق عيسى من غير أب؟ كلا ولا يعجزه أن يبعث الناس بعد موتهم في نشأة أخرى كالنشأة الأولى

وقال الأستاذ الإمام ما مثاله : تقدم أن هذه الآيات سيقت في معرض إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ببيان أن لله تعالى أن يصطفي من عباده من يشاء لرسالته وأنه مستقل في أفعاله فلا وجه لإنكار اصطفائه محمدا وقد اصطفى قبله آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران . ثم جاء في السياق ذكر قصة عيسى وأمه وما جاء به وما كان من كفر بعض قومه به ورمي أمه بالزنا وإيمان بعض وهنالك قسم ثالث لم يكفر بعيسى ولم يؤمن به إيمانا صحيحا بل افتتن به افتتانا لكونه ولد من غير أب وزعموا أن معنى كونه ولد بكلمة من الله وكونه من روح الله أن الله تعالى حل في أمه وأن كلمة الله تجسدت فيه فصار إلها وإنسانا فضرب الكافرين والمفتونين مثل خلق آدم من تراب وهو حجة على الفريقين من اليهود والنصارى ولا شك أن خلق آدم أغرب من خلق عيسى لأن عيسى خلق من حيوان من نوعه وذلك قد خلق من تراب . وفي الكلام إرشاد إلى أن أمر الخلقة يشبه بعضه بعضا وكله غريب بالنسبة إلينا إذا فكرنا في حقيقتها وعللها ولا شيء منه بغريب عند الموجد المبدع . أما القوانين المعروفة في علم الخليقة فهي قد استخرجت مما نشهده ونشاهده وليست قوانين عقلية قامت البراهين على استحالة ما عداها كيف وأننا نرى في كل يوم ما يخالفها كالحيوانات التي لها أعضاء زائدة والتي تولد من غير جنسها ويرون ذكر ذلك في الجرائد ويعبرون عنه بفلتات الطبيعة وهو إنما خالف ما نعرف لا ما يعلم الله تعالى وما يدرينا أن لكل هذه الشواذ والفلتات سننا مطردة محكمة لم تظهر لنا وكذلك شأن خلق عيسى فكونه على غير المعهود ليس مزية تقتضي تفضيله عليهم فكيف تقتضي أن يكون إلها . وإذا كان عيسى قد خلق من بعض جنسه فآدم قد خلق من غير جنسه فهو أولى بالمزية لو كانت وبالإنكار إن صح على أن ما نعرف من أمر الخلقة ليس لنا منه إلا الظاهر نصفه ونقول به وإن لم نعقله وما الذي نعقل من الرابطة بين الحس والنطق في الإنسان مثلا

بل ماذا تعقل من أمر حبة الحنطة في نبتها واستوائها على سوقها وتناسب أوراقها وغير ذلك

ذلك ﴿ الحق من ربك ﴾ الذي خلق عيسى وغيره وبيده ملكوت كل شيء ﴿ فلا تكن من الممترين ﴾ في أمره الشاكين فيه بغير علم فقد جاءك علم اليقين

﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل ﴾ لهم قولا يظهر علمك الحق وارتيابهم الباطل ﴿ تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل ﴾ يقال ابتهل الرجل دعا وتضرع والقوم تلاعنوا وفسر الابتهال هنا بقوله ﴿ فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ وتسمى هذه الآية آية المباهلة وقد ورد من عدة طرق ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا نصارى نجران للمباهلة فأبوا . أخرج البخاري ومسلم ان العاقب والسيد أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد ان يلاعنهما فقال أحدهما لصاحبه لا تلاعنه فوالله لئن كان نبيا فلاعننا لا نفلح أبدا ولا عقبنا من بعدنا ، فقالا له نعطيك ما سألت فابعث معنا رجلا أمينا فقال قم يا أبا عبيدة [illegible] هذا أمين هذه الأمة . وأخرج أبو نعيم في الدلائل من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس ان ثمانية من نصارى نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم العاقب والسيد فأنزل الله تعالى « قل تعالوا » الآية فقالوا أخرنا ثلاثة أيام فذهبوا الى قريظة والنضير وبني قينقاع فاستشاروهم فأشاروا عليهم ان يصالحوه ولا يلاعنوه وقالوا هو النبي الذي نجده في التوراة فصالحوا النبي (ص) على ألف حلة في صفر وألف في رجب ودراهم . وروي في الصلح غير ذلك ومنها انهم صالحوه على الجزية . وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اختار للمباهلة عليا وفاطمة وولديهما عليهم السلام والرضوان وخرج بهم وقال « ان أنا دعوت فأمنوا أنتم » وفي رواية لمسلم والترمذي وغيرهما عن سعد قال لما نزلت هذه الآية « قل تعالوا » دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا « وقال اللهم هؤلاء أهلي » وأخرج ابن عساكر عن جعفر بن محمد عن أبيه « تعالوا ندع أبناءنا » الآية قال فجاء بأبي بكر وولده وبعمر وولده وبعثمان وولده وبعلي وولده . والظاهر ان الكلام في جماعة المؤمنين

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وفوق التصورات والأوضاع

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

والناس [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الآية [illegible] لا [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الأمام وما قلناه من حق لطريقه

[illegible]

[illegible] وأنه [illegible]
[illegible] في أهل
[illegible]

[illegible] إلى القول
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] في القرآن ولنحو [illegible]

[illegible] في العصور الأخيرة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] والنحو

[illegible]

[illegible]

[illegible]

... بهمة العرب ورواتها .

[illegible]

... وتواصوا على التعديل

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

انه ليس من عند الله

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

تعالى وأعلم

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

والعلاج ازال الضلال والشقاء

ولا يبيحها عال

[illegible]

[illegible]

أما تلك مسألة أخرى

وكذلك [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الاستبداد

٢

[illegible]

[illegible]
ويزيلوها في زمن قريب

[illegible]

[illegible] على المتمرد أمين لأمركم [illegible]

[illegible]

[illegible] الكتاب ولم [illegible]

[illegible]

[illegible]

نحو ما عليه الكل؛

[illegible]

[illegible]

مطيرة في أرض [illegible]

[illegible]

بالقرب [illegible] كمسر وريا

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ونظام [illegible] كان

القدرة تعالى الله من جعلهم

﴿ [illegible] حدث [illegible] ﴾

[illegible] خمسة

[illegible]

[illegible]

[illegible] كان

[illegible] حتى [illegible] الاسلام

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] يجتمع [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(س ١٦) [illegible]

[illegible]

[illegible] ذلك [illegible]

([illegible] ١٧ [illegible] الدين)

[illegible]

(س ١٧) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

أهل مصر)

[illegible]

وهو من [illegible]

[illegible]

[illegible]

محمد رشيد رضا

منشئ المنار

[illegible]

[illegible] مصر والأقطار

[illegible]

وجوه مُشرقة

[illegible]

خير الناس أجمعين

[illegible]

[illegible]

رب العالمين

[illegible]

والشعور مما يكون الفرد .

الروابط والوجدان .

جديرا بقول الشاعر

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(٣٣١ – ٣٩٤)

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] … [illegible] [١]

[illegible] … [illegible] [٢]

[illegible] … [illegible] [٣]

[illegible] … [illegible] في عيون وفائي

[illegible] … يا لها من [illegible] وشاشة

[illegible] … [illegible]

[illegible] … [illegible] عالم [illegible]

[illegible] … [illegible] الاعظم [illegible]

واسمع الكتاب في مصر [illegible] … [illegible]

[illegible] … الى [illegible]

[illegible] … مشكاة الأولى [illegible]

[illegible]

[illegible]

([illegible]ان النسب)

[illegible]

([illegible] الاسابة)

[illegible]

مابصل اليه [illegible]

([illegible])

[illegible]

(البر)

[illegible]

باب المناظرة والمراسلة

[illegible]

١٩ ربيع الاول سنة ١٣٠٥

حضرة الاستاذ الفاضل

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

باب الأخبار والآراء

[illegible]

من الناس من [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وقد [illegible]

[illegible]

[illegible] الناس وقصدوا [illegible] والطعن [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] في هذا الباب؟ ثم ما قال

[illegible] أصل كله به

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

البدع والخرافات
والعادات والتقاليد

وما لابد منه لسلامة الملة ولا أمة كاستقلال الفكر ، وتحصيل علوم العصر .

الك تحدثت أهل الرأي والفكر من الطبقات المختلفة في شأن الاسلام والمسلمين فلا تكاد ترى أحدا يرجو ان يجيء يوم يحكم المسلمون فيه بشريعتهم وهم في حال راقية عزيزة فيفكر في ذلك ويسعى له سعيه . أليس هذا هو البلاء المبين ؟ بل وان وراءه بلاء أكبر منه وهو نفور بعض الذين يتلقون العلوم العصرية من عقائد الدين واعتقادهم انها لا تتفق مع العقل ولا يلتئم مع استقلال الفكر ولا نجاح لامة لا تعطي العقل حقه من الحرية وتبلغ الفكر مداه من الاستقلال . وكان يرجى كثير هنا من العلماء أيضا بأن يجاهروا بمقاومة البدع والخرافات

كنا ننتظر من الاستاذ الاكبر الشيخ حسونه النواوي حركة اصلاح جديدة في مقاومة البدع أقوى من الحركة التي كانت في مشيخته الأولى لما زادته الايام الا حنكة واختبارا ولكن حادثة دمياط جاءت بنقيض ما كان ينتظر أو يرجى فقد كانت هذه المسألة فرصة لاحياء سنة أو سنن وامانة بدعة بل بدع كثيرة لاستعداد الاحداث [illegible] شيخ الأزهر فيما عليه العامة من الافتتان [illegible] وقبور الصالحين

دعي الشيخ حسن علي أحد علماء دمياط الى قراءة قصة المولد في أحد المساجد فسمع الناس منه ما لم يعتادوا - سمعوا منه قصة ليس فيها شيء من الروايات الموضوعة والأكاذيب المصنوعة ، مفتتحة بقوله تعالى (لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) فسروا بما سمعوا وانشرحت صدورهم . وكان مما ذكر في القصة خبر الهجرة الشريفة وفيه انه صلى الله عليه وسلم قطع المسافة بين مكة والمدينة في مثل المسافة التي يقطعها بها الناس فسأله بعد ذلك سائل لماذا لم يقطعها في لحظة كما يفعل أهل الخطوة من الاولياء ؟ فأجاب بأن مسألة الخطوة غير ثابتة ولو ثبتت لكان النبي صلى الله عليه [illegible] جديرا لامها في ذلك الوقت الذي خرج فيه مع صاحبه عليه الرضوان مستخفين من قريش خوفا اذا هم ادركاه آية يهتدي بها خلق كثير . وسأله سائل عن القبة التي لها قبر النبي

صلى الله عليه وسلم هل هي من أرض الدنيا أم من الجنة فأجاب بأنها من أرض الدنيا ولا أدري هل فسر لهم حديث الشيخين في ذلك أم لا - وسئل عن النقود التي تلقى في الصناديق التي توضع عند أضرحة المشايخ والاولياء في المساجد فأجاب بأن هذا العمل غير مشروع وان الصدقة على البائسين والمنكوبين كأهالي الطرابلسية الذين احترقت بلدهم في هذا العام والبذل في الأعمال العامة كإنشاء المدارس أولى وأفضل وسئل عن تقبيل أعتاب حجرات قبور الصالحين فقال انه غير مشروع بل هو بدعة

ساءت هذه المسألة الأخيرة شيخ الصندوق في ذلك المسجد من دمياط فأوعز الى خطيب من خطباء الفتنة بأن يعرض بتضليل الشيخ حسن علي ووسوس الى كثير من العوام بأن الرجل أنكر الكرامات وأهان الأولياء فقامت قيامة الغوغاء عليه فنمي الأمر الى شيخ الأزهر فأمر شيخ علماء دمياط بالتحقيق فأظهر هذا الشيخ وأعوانه من التحامل [illegible] ما أنكروا حتى انه كان يقبل شهادة الطاعنين [illegible] - ولما علمت العامة بتحامل العلماء عليه هاجت هيجانا شديدا حتى حاولت الفتك به مرة وصارت ترجمه بالحجارة أو الطوب اذا خرج وترجم البيت الذي هو فيه اذا لم يخرج. ثم رفع الأمر الى مشيخة الأزهر، فعقد الشيخ حسونه مجلس الادارة للنظر في ذلك وبعد النظر حكم بمنع الشيخ حسن علي من التدريس مدة سنة كاملة وبقطع مرتبه من التدريس في هذه المدة - هذا ما سمع وشاع

قيل ان الحكم الاداري سببه اهانة الشيخ حسن علي لشيخ العلماء في اثناء هذا التحقيق وهو قول معقول إذ لو كان أخطأ في بعض المسائل الدينية لحكم عليه بعد بيان غلطه له واقناعه بالصواب ان يعترف بالخطأ السابق ويقرر الصواب في دروسه على رءوس الأشهاد. ولكن العامة فهمت انه عوقب على انكار ما يسمونه الكرامة أو على اهانة الصالحين وتقبيل أعتاب الحجرات التي تبنى في قبورهم ونحو ذلك من البدع وربما قالوا ان الأولياء تصرفوا فيه وهذا ما كنا نرجو ان يتلافاه الشيخ حسونه لأن هذه الحادثة أحسن فرصة لنصر السنة ومحو البدع

ARCHIVE

بأن يظهر الحق قبلاً على ألسنة الجرائد

الحق في هذه المسائل من الدينيات التي لا يتعلم فيها عرفان — أما مسألة طي الأرض وقطع المسافات الطويلة في دقيقة أو دقائق قليلة فلم يثبت وجوب الايمان بها كتاب ولا سنة ولم يقل بها أحد من الأئمة المجتهدين بل لم يكن يخطر هذا ببال السلف ولما حدث القول بذلك في الخلف استنكره بعض الفقهاء حتى قال بعضهم بأن من يعتقد جواز ذلك يكفر ويخرج من الاسلام أو يحكم بجهالته وغباوته كما صرح بذلك صاحب الوهبانية من فقهاء الحنفية بقوله فيها

ومن قولي قال طي مسافة يجوز جهول ثم بعض يكفر

ولا شك ان الناظم كان يعتقد أحد الوجهين اللذين حكاهما عن العلماء لكن الشيخ حسن شطه ومثل من نقل عنهم . وهذا الرقم ليس من قال بالجواز بما بلاه بمن يقول ان ذلك واقع بالفعل . وحسبك ان هذا وقع كرامة فهل يكلف من لم يثبت ذلك عنده [illegible] دينه له وأي دين يقسم هذا أيقسم له دين [illegible] مطلقة سمحا لا تتبدل ولا تتحول وان لا حكم في الدين الا لله وما أنزل الله بهذا من سلطان

وأما مسألة تقبيل الأعتاب فهي بدعة لا سند لها من كتاب ولا سنة ولا قول إمام مجتهد وكيف وقد قال الفقهاء في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ليس من السنة ان يمس الجدار ولا أن يقبله بل يقف من بعد ويسلم

نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تشييد القبور وتشريفها ومن الكتابة عليها ومن ايقاد السرج عليها ومن اتخاذ المساجد عليها ولعن من يفعل هذا . ومضى الصحابة والتابعون على هذه السنة فلم يبنوا قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يضعوا اليه ولا بنوا قبرا لأحد من المهاجرين والأنصار . ولما حدثت بدعة بناء القبور كان بعض الأمراء المتمسكين بالسنة يهدمها كما حكاه الامام الشافعي في الأم قال ولم أر أحدا من الفقهاء أنكر عليهم ذلك أي هدمها . فهل صارت البدعة سنة وصار بناء القبور وتشريفها وبناء المساجد عليها والصلاة اليها دينا متبعا بعد ان لعن الشارع فاعل ذلك وصار لهذه المساجد التي بنيت عليها أحكام شرعية منها ان تقبيل أعتابها مطلوب

شرعا ومنكره يعاقب ويهان ؟

وأما مسألة الروضة فالرواية فيها ضعيفة عن الشيخ حسن ال‍[illegible] واحد مجلة وإني مع ذلك أقول فيها قولا وجيزا . أقول ان العلماء قالوا في حديث الشيخين « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة » ان معناه ان العمل هناك بطاعة الله يكون سببا لدخول الجنة ، وقيل أنها تنقل يوم القيامة الى الجنة وقال بعضهم : انه لما كان جلوسه (صلى الله عليه وسلم) وجلوس الناس اليه يتعلمون القرآن والدين والايمان هناك شبه ذلك الموضع بالروضة الكرم ما يجتنى فيه وأضافه الى الجنة لأنها تؤول الى الجنة ، وهذا هو الصواب في تفسيره ويشهد له ما ورد في تسمية مجالس الذكر برياض الجنة كما في حديث جابر وأبي هريرة ومعاذ ولم يقل أحد ان المراد بها أن مجالس الذكر من أرض الجنة لا من أرض الدنيا

وأما مسألة الصناديق التي وضعت هناك ذريعة لاستدرار أيدي الذين يظنون أن إلقاء المال في الصندوق مما [illegible] صاحب الضريح كما ينقل لنا عنه الشيخ حسن فيها لا [illegible] أولياء الذين يأكلون تلك الأموال بالباطل [illegible] الرجل نوثق في هذه المقالة فلا نبحث فيها

فعلم مما تقدم ان كل ما قاله الرجل حق لا وجه لمؤاخذته على شيء منه وهذا مما يقوي القول بأنه أوخذ على شيء آخر يتعلق بمعاملته لشيخ علماء دمياط ولكن الناس لم يعرفوا ذلك الشيء فظنوا ان شيخ الازهر وأعضاء مجلس ادارته ينكرون تلك الحقائق ويقولون بوجوب الزيارة على الأرض للصالحين بالقتل وتقبيل أعتاب المساجد التي بنيت على قبورهم ابتداعا في الدين ، وبأن إلقاء المال في الصناديق عند قبورهم أفضل من الصدقة على الفقراء والمساكين ، واطعام المنكوبين والبائسين .

والناس في هذا الظن فريقان — فريق يعلم الحق في هذه المسائل فهو يعتقد ان الشيوخ مبطلون ، وللبدع والخرافات مؤيدون ، وفريق لا علم عنده فهو يقلدهم بما يظن انهم عليه . ولا ينبغي اقرار أحد من الفريقين على هذا الظن السوء بالعلماء لذلك نقترح على الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر أن يبين للناس الحق في هذه المسائل وأنه لم يؤاخذ الشيخ حسنا لخطأه فيها بل لأمر آخر وله ان يكتمه فهذا وقت يجب فيه البيان ولا يصح فيه السكوت والاستاذ في فضله ورويه أهل لذلك